المقـدمة

بات الكلام عن سلمية الثورة المصرية محفوفاً بالمخاطر، ومعبأ بالصراعات بين أنصار لاسلمية الثورة وسلميتها، حتى غدت سلمية الثورة سُبة فى جبين من يعتنق السلمية كعلامة للثورة .

ويروج أنصار العنف منذ انتهاء الثورة أو بالأحرى منذ انتهاء المد الثوري الأول وتنحية مبارك عن الحكم لنظرية العنف الثوري، وأنه لولا العنف ما نجحت الثورة، وأنها لم تكن ثورة سلمية بأية حال، ويدللون على ذلك بإحصائيات تظهر عدد القتلى من الشرطة المصرية والضحايا من الثوار على السواء .

وفى المقابل يحاول أنصار التغيير السلمي تصحيح المغالطات التى ترد فى استدلالات أهل العنف، غير أنهم يقابلون بموجات متتابعة من الهجوم تثنيهم عن الاستمرار فى الحوار وذلك لأن دعاة العنف أعلى صوتاً وأشد تأثيراً، فعادة التطرف والغلو يكون أيسر من الاعتدال والقصد، فالأول طريقه مُعبد وميسر للمزايدة والمغالاة، بينما الثانى مكبل بقيود العلم والحكمة، وهما عسيران على كثير من أبناء جلدتنا.

ولكى يمكننا تحليل مغالطات دعاة العنف ينبغى أن نسترجع الثورة المصرية منذ مهدها حتى تنحية مبارك فبعد نجاح الثورة التونسية وهروب الرئيس المخلوع ابن علي، تصاعدت دعوات عبر الإنترنت للثورة على الظلم والفساد والفقر فى مصر، ولم يدرك أحد وقتها أنه من الممكن أن تشتعل ثورة فى أرجاء مصر، بل إن الغالبية من النشطاء أنفسهم كانوا على درجة عالية من التشاؤم إزاء مظاهرات ٢٥ يناير .

ويوماً فيوم تعالت نبرات التفاؤل بعدما ذاعت الدعوة لمظاهرات ٢٥ يناير، وانتشرت بشكل أوحى آنذاك بأن شيئاً ما يتحرك تحت الرماد عندئذ تضاءلت نبرة التشاؤم، وارتفعت وتيرة التفاؤل بشكل مذهل، حتى كان يوم ٢٥ يناير وفيه خرج الناس إلى الشوارع بشكل سلمي، وكان موقف الشرطة آنذاك عجيب، فالشرطة لم تتدخل كعادتها لتفض المظاهرات بالوحشية المعهودة عليها، باستثناء بعض المناطق التى جرى فيها اشتباكات بين الشرطة والمتظاهرين واستمر الناس فى التظاهر والهتاف ضد النظام، وسار الناس بشكل عفوي حتى بلغوا ميدان التحرير، وبدأ الناس يتجهون نحو الميدان بصورة تلقائية، انتهى الأمر وعشرات الألوف قد سكنت الميدان، وجلسوا يهتفون بصوت واحد لإسقاط النظام٠

إلى هنا والثورة لا تزال محافظة على سلميتها، حتى تدخلت الشرطة فى نهاية اليوم وفضت اعتصام التحرير بمنتهى القوة، وكانت قوة مفرطة ربما فاقت تصوراتنا عن وحشية الداخلية، عندئذ تفرق المعتصمون فى الشوارع الجانبية، وساروا فى مسيرات صغيرة وراحوا يهتفون ضد النظام.

مرت الأيام التالية والمظاهرات مستمرة فى عدد من المحافظات، كان أكثرها اشتعالاً محافظة السويس، التى أعلن فيها رسمياً عن سقوط أول ضحية للثورة يوم ٢٧ يناير ومن هنا تغير مسار الثورة تغيراً نوعياً، وليس تغيراً جذرياً، بحيث تتحول الثورة من سلميتها إلى العنف، إنما كانت الصدور متأججة بنار الانتقام من الداخلية، وزاد الأمر اشتعالاً سقوط الثانى والثالث فى السويس، وبلغ عدد المصابين ٣٥٠ مصاباً.

وكان يوم جمعة الغضب، وهو اليوم الأهم فى الثورة، من حيث أعداد المتظاهرين التى ازدادت بسرعة جنونية، أو من حيث أحداث اليوم التى توالت إلى نزول الجيش إلى الشوارع إلى أن نجحت الثورة فى إقصاء الطاغية.

أسامة عبد الرحمن